

أن يسأل عن شخص أرمني أقرضه أربعة وعشرين ألف ليرة قبل أن أولد ولم يعدها. فعلمتُ مازحاً بالرغم من صغر سني: وهل وصلت بك الحال إلى الشفقة على غريب لا تعرفه لتقرضه مالك، و فقط لأنه استعطفك بطلبه؟

5. عندما سُرق مرفأ بيروت في عام 1975 وحُرقَت عُنابره ومستودعاته تمهيداً لإفراجها، سُرقَت وأتلفت أطنان من أثواب قماش بقيمة ستمئة ألف ليرة لبنانية أو ما يعادل مئتي ألف دولار في حينه، وهي عائدة لمعمل الألبسة الذي كان والذي يملكه وكان اسمه كونترا - Contra، فأرسل أحد المسؤولين الكنائسيين من شرتون - والذي لا يشترُفني ذكر اسمه - لابي خبراً حتى يُدخَلَ إلى المرفأ شاحنة ويملأها بأي بضاعة يرغب فيها. حضر أبي إلى المرفأ، وبعدما تأكّد من فقدان البضاعة أجاب المسؤول: لن أطعم أولادي مالا حراماً. فاقترَب أحدهم عارضاً بيعه أربعين ألف قميص ماركة بيار كارديان - Pierre Cardin، بأربعين ألف ليرة، فأعاد على مسامحة المقولة عينها، إلى أن اندفع أحدُهم من شرتون أيضاً وكان يحب والدي قائلاً: عني سوف أحمل لك بضعة أثواب في سيارتي ويمكنك رميها إن لم تقبلها. وفعلاً، حملها في سيارته وأوصلها إلى المنزل، فيما عاد وأعطاهما أبي لزواج خالتي الذي حصل باسم الشركة من عائلة شلفون في أفرقيا ليزوده بالألبسة، فنقل بفضلها عمله إلى جزيرة قبرص، عارضاً على أبي مشاركته، لكنه رفض المشاركة في مجالٍ لا يفقه فيه كثيراً.

(1) استعملتُ لقب شيخ لأن سعيد الشرتوني أرسل بعض مؤلفاته إلى السلطان عبد الحميد الذي منحه هو وعائلته اللقب، فيما لم يستعمله أي فرد من أفرادها.

(2) قد يتبادر إلى ذهن البعض القول: ما شأنه وعائلته؟ وأين دوره في كل ذلك؟ ولماذا يأتي على ذكر تلك التفاصيل؟ وعليه أشير إلى أنّ التشويه المادي والمعنوي طال كل العائلة. ما اقتضى التوضيح قدر الإمكان ولو مرة واحدة، كما أن من البديهي إصدار كتاب، لا مقال فقط، لإلقاء بعض الضوء على جزءٍ يسير مما فعلته في حياتي، لأنه لا متسع لذكره هنا، وسوف يقم هذا الكتاب - إذا رأى النور يوماً - جواباً شافياً عن السؤال المطروح بقوة منذ زمن، وهو: لماذا لم يحاكم أمين الجميل حبيب الشرتوني؟

الفرق القادمة من خارج لبنان. وحصل أن قصد شخص جدي في آخر أيام المخترعة طالباً مساعدة مالية، وصادف حينها أنه لم يكن بحوزته مال كافٍ، ولم يشأ أبي أن يكسر بخاطر أبيه، ففتح الجارور حيث يضع الليرات قائلاً للزائر أن يأخذ ما يريد، فأخذ الذهب وشيّد به مبنين صفراوي اللون في منطقة الصنائع، بقيا مائلين إلى يوم دلني أبي عليهما في مطلع الثمانينات.

2. تطلّمت الجامعة لطلابها رحلة بحرية إلى إيطاليا في أول عهد موسوليني مدتها شهر، ووادي الذي اشتهر بحبه للفن والمعالم كان بين المسافرين علي متن السفينة، وعندما وصل إلى هناك طلب منه - باسم الوفد - إلقاء محاضرة بالإنكليزية، بثت عبر الإذاعة الرسمية عن علاقة لبنان بإيطاليا. فأعدها وألقاها وختمها بالقول: إنّ الموج الذي ارتطم بصخور شواطئ فينيقيا عاد وارتدى على سواحل روما. والذي حصل أن موسوليني أعجب بالمحاضرة، فأرسل له بطاقة شخصية مع إشارة بحسم سبعين في المئة من أي مبلغ مستوجب الدفع، ما جعل الإيطاليين يخشون تقاضي أي مال عند رؤية البطاقة.

3. حضر إلى المختبر في أحد الأيام شخص سرياني من العراق طلب منه إجراء تحاليل وفق نظام كنيستهم قبل عقد قرانه على إحدى الفتيات، ليتبين أنه مصابٌ بداءٍ جنسي. وأمام كثرة استفساراته قال له والذي: دمك متسخ. فأخرج الزبون كيساً من الذهب ووضعه على الطاولة، فأردف أبي: لقد ازداد أتسأخاً، خذ كيسك واخرج من هنا، فهدد الرجل باستعمال ماله لعقد الزواج. وما إن خرج حتى اتّصل أبي ببطركيتهم. وبعد قرابة السنة مضى إليها ليأخذ عينة دم من البطريرك، فسأله عن اسمه، ولم أجابه قال: انحن قليلاً حتى أقبل جبينك، وهل ما زال هناك أناس مثلك؟

4. محاميان من عائلتنا، هما من أبناء عم لأبي، قررا أواخر الستينات السفر إلى الخارج، بعدما تعرّضوا لإزعاجات من كتائبي شرتون لتأسيسهما نادياً ثقافياً رياضياً فيها، وتقديم مسرحية «طواحين الليل»، والتي حازت جائزة من وزارة السياحة واستقطبت حركة سياحية إلى القرية الوادعة على سفح جبل يبعد ثلاثين كيلومتراً عن بيروت، فيما أودعا الأرباح في صندوق النادي، ما سمح ببناء مقرّ له. لكن قبل مغادرتهم لبنان، طلب أبي من أحدهما الذهاب إلى أميركا الوسطى،



هذا اغتيال الجعيل، وأنا اتمرض مع عائلة أبي الكريه لشنّ انواع التعذيب والنفي والحرمان (مروان طحطد)

طويلة ويخلوا بعض شققة خلافاً للقانون، ليشتروه في المحصلة وبعد مفاوضات عبثية بمبلغ زهيد من المال لا يعادل خمسة في المئة من قيمته الحالية، فيما ليس الأمر كما يُشاع أن جدي أو אחتي كانا يسكنان الطبقة العلوية.

ومن هذه القصص (2) التي ذكرت أضيف خمساً فقط باختصار:

1. كان أبي عضواً في فريق كرة القدم «Varsity» الخاص بالجامعة، وتقاضى كمحترف ليرة ذهبية عن كلّ مباراة يخوضها الفريق ضدّ

بيروت والجبل من خلال إسقاط الدعاوى المقامة ضدّها مهما كان حكمها قاسياً، وكان يؤوي بعض العائلات في منازل لا يجروا أحد على دخولها، بما في ذلك عناصر الدرك. وكان للشيخ رجالة، من قبضايات كان يلتقيهم في قهوة «الحاج داود» الواقع في جَلّ البحر. إذ هذه كلاًه مسموعاً بين القرى والناس، وفق ما اكده لي المعزرون من معاصريه.

كنا في نزهة عائلية وأوقفنا السيارة في شارع الحمرا، حيث مضى أخي الأصغر ليشتري لنا بعض الفلافل، وما لبث أن عاد منادياً أبي لأن صاحب المطعم سأل عن اسم والده مستشياً به. وعندما أجابه، أدمعت عينه قائلاً: «فُضيت راس بيروت بس تركتوا». يومها، عرفتُ عن وجود العائلة في رأس بيروت قبل زواج أبي وانتقاله إلى الأشرافية، فرحتُ بعدها وبسبب حبي للمعرفة أطرح أسئلة على أبي الذي كان قليل الكلام، لا يبادرُ به، حتى سمعتُ منه بعض هذه القصص، فيما عشتُ أو سمعتُ من سواء الباقي.

وتبيّن أن انتقال السكن إلى الأشرافية سببه رغبة أمي، التي عاشت هناك، حيث مولد جدتي واسمها ملكة زيدان، وهي من أولاد عم الأديب جرجي زيدان، وانتخب رئيسة (لدى الحياة) لأهم أخوية في زمانها «الحبل بلا دنس» التي اختارت جدي نعمان صابر شاعراً لها. وماتت عشية الحرب الأهلية، فيما عادت والدتي وتسلمت لسنوات مهمة أمانة السرّ في فرع الأخوية الكائن في كنيسة مار يوحنا في الأشرافية، حيث كانت تتردد يومياً لحضور القداس وتوزيع التبرعات على المساكين والفقراء الذين اعتادوا انتظارها يوماً في الأسبوع. وقد نشأت والدتي بين عائلات بيروتية كريمة كال تويني، مقدسي، دباس وساسين، وقد بادلوها التحية والاحترام أينما صادفوها.

أما المبنى العائد إلى جدي (والد أمي)، فقد بني على مساحة ألف متر، وكلف جدي أربعمئة ليرة ذهبية جمعها خلال اغترابه في المكسيك. لكن المبنى استولى عليه حزب الكتائب بضرب احتيال قام به أحد أعضائه (جان غاوي) الذي سجّل عقد الإيجار باسمه، مؤكداً استعماله الشخصي لاستقبال بعض رفاقه في الحزب للعب الورق في أحيان كنادٍ وليس كمقرّ حزبي، قبل أن يصادروه لسنوات

## أن أوان هواجمة الصهاينة العرب

### ليث الشبيبات \*

لماذا كثرة القيل والقال وكثرة الفلسفة في أمر واضح ليس حتى من السهل المتنع: الموضوع ليس قطر! المطلوب رأسه اليوم وبالأمس هو المقاومة بجميع أشكالها الوطنية أو القومية أو الإسلامية، شيعية أو سنية. الموضوع الذي يجري منذ سنوات تحت أعيننا داخل أقطار كل منا نحن «المناضلين» زعماً، ونستحي بل نخاف أن نجهر به علناً لحكامنا هو صهيينة الحكومات العربية ثم التوسع نحو صهيينة الشعب العربي باختراع عدو له غير الصهيونية.

لا شك في أن إيران خصم ولها مشروعها، ولكنها بكل تأكيد ليست عدواً، فهي تلتقي مع العرب الصادقين في قضية فلسطين رغم أنها تختلف معهم في قضايا أخرى.

ولها مشروعها الإقليمي الذي هو قومي أكثر منه إسلامياً للأسف، وما فيه من إسلام يضيق عند المذهب، فيستفز وينفر بدلاً من أن يجمع. منذ عام 1990 ونحن في مؤتمراتنا السنوية القومية والإسلامية التي اعتزلناها أخيراً، بدأنا نستعمل بقوة تعبير الصهيونية العربية، ولم يقلدنا في ذلك إلا قلة قليلة حتى لا يُغضب الآخرون حكمانا الغارقين في المشروع الصهيوني

تحت أعيننا. إن الذي يجري الآن أخطر بكثير من 5 حزيران 1967. في 5 حزيران من هذا العام إعلان احتلال كامل للصهاينة لا للحكومات العربية، وبالتالي للأرض ومن عليها فقط، بل وللعقل العربي بمجمله، الذي لم تتحرك جماهيره مطلقاً عندما أعلنت دول «عربية وإسلامية» أنّ المقاومة الفلسطينية إرهاب، فهل هناك صهيينة أكثر من هذا؟ فلسطين اليوم في مواجهة إسرائيل والأمة العربية. ربّي لم أبقيتني حياً! كفى سذاجة مصطنعة خوفاً من العواقب. لا تتناقشوا في جزئيات أسباب الأزمة، فهي صغائر مهما كبرت، وإنها تناقضات فرعية أمام التناقض الرئيسي الذي ضيعناه في الربع المسخ

لأمة ضحكت من جهلها الأمم. كفى تخاذلاً! إن القيادات والتنظيمات النضالية المتصاغرة في العالم العربي، التي كان يجري التحضير للإعلان الصهيوني هذا تحت سمعها وبصرها (وأنا منها)، والذي كان سرّاً مفضوحاً لا يغيب عن أمثالهم (ومثلي)، يجب أن تعلن فشلها وتتسحب. فكل من لم يتجرأ وبقي اليوم لا يتجرأ على مواجهة حاكمه، الذي تصهين بقوله له علناً إن سياستك صهيونية فليصمت وليخرج من الحلبة ولينتقل إلى مقاعد المتعاطفين، وليترك الساحة للقلة التي ستضحى بنفسها لمواجهة قيادات الصهيونية العربية المجرمة. وعلى معظم أصحاب العمام الذين لم يتخذوا الموقف الشرعي أن يزيلوا عمامة لا تستحق رؤوسهم شرف لبسها. هل من تعليق أيها الزملاء «القوميون والإسلاميون» (معذرة للقلة ممن رحم ربّي منكم) الذين بدلاً من أن تثبتوا على مبدئي لا للتدخل الأجنبي ولا للعسكر، انجذبتم نحو العسكرية والإقليمية والتدويل، مستقيلين من رفعة البقاء «ضميراً» للأمة فوق تفاهات الحكام. معذرة للقساوة، فمصلحة الأمة أهم بكثير من الأخذ بخاطر مشاعرنا. ففي الحرب الجنرال الذي يهزم يحاكم ويعدم.

\* سياسي أردني

إنّ الذي يجري الآن أخطر بكثير  
من 5 حزيران 1967